عبد الرحمن حبنكة الميداني ودوره في التوجيه الإسلامي للفكر والتربية

إعداد
نسرين بنت عطية بن إبراهيم الزهراني
دكتوراه الأصول الإسلامية للتربية

ملخص الدراسة:

هدفت الدراسة التعرف على دور عبد الرحمن حبنكة في التوجيه الإسلامي للفكر والتربية، وجاء في المطلب الأول عرض السيرة الذاتية لعبد الرحمن حبنكة الميداني، والتعليق عليها، وفي المطلب الثاني: عرض أفكار الميداني في توجيه أصل الإنسان وحدود طاقاته وإدراكاته من كتابه العقيدة الإسلامية وأسسها، والتعليق عليها، وفي المطلب الثالث: عرض أفكار الميداني في توجيه المعرفة الإنسانية توجيهاً إسلامياً من كتابه ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، والتعليق عليها، وفي المطلب الرابع: عرض أفكار الميداني في توجيه الأخلاق توجيهاً إسلامياً والرد على الفلاسفة الماديين من كتابه الأخلاق الإسلامية، والتعليق عليها، وعلى كتاب الأخلاق بصفة عامة، وفي المطلب الخامس: عرض بعض أفكار الميداني في التحذير من مكايد العدو وخطر الغزو بكل أنواعه من كتابه أجنحة المكر الثلاثة، والتعليق عليها أما التعليق على فكر الميداني وكتاباته ككل فقد تناولته في المقدمة، وكان نتائج الدراسة: استقى الميداني معارفه من منهج القران الكريم والسنة النبوية، فقد تخصص أولاً في علم الشريعة وتخرج من الأزهر الشريف، وبعد أن أسس بنيانه على أسس قويمة وقواعد راسخة تخصص في علم التربية وعلم النفس فأبدع فيه أيما إبداع، وكشف عن كثير من زيوف الحضارة الغربية الوافدة، ولقد تميَّز نتاجُه العلميُّ بالغَزارة والعُمق والشُّمول لعددٍ من العلوم، مع حرصه على التأصيل من أجل إقامة العلوم على أساس التصور الإسلامي، وعلى أساس مبادئ الإسلام وحقائق الشريعة الإسلامية، كما اهتم أيضاً بالتوجيه الإسلامي لتقويم ما استجد من علوم ومعارف وتأسيسها على أساس الوحيين، ولقد كان يجمع في كتاباته ومؤلفاته بين القديم والحديث، وبين التخصُّص الشرعيِّ الدقيق والعلوم الدنيويَّة العصريَّة، منسجمة مع روح العصر متناسبة مع ما يُطرح من أفكار وأحداث مستجدة في الزمن الحاضر.

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على خير خلق الله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً أما بعد:

فلقد رفع الله تعالى من شأن أولي العلم، فجعلهم في منزلة تختلف عن غيرهم وما ذاك إلا لما حملوه من العلم الذي ورثوه للناس وما نشروه من هدى ونور لهداية الناس للحق وطريق الخير و إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ولذا امتدحهم الله تعالى في أكثر من موضع في كتابه الكريم منها قوله عز من قائل سبحانه: {قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب} (سورة الزمر: آية ٩)

كما بيّن النبي صلى الله عليه وسلم في نصوص كثيرة فضل العلم و أهله، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير»[١]

ومعنى الحديث:"أي يستغفرون لهم طالبين لتخليهم عما لا ينبغي ولا يبق بهم من الأوضار والأدناس لأن بركة علمهم وعملهم وإرشادهم وفتواهم سبب لانتظام أحوال العالم"[٢]

---

(١) محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد، الرياض، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م، ٣٤٧/٤.

(٢) زين الدين عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥ه، ط١، ٥٦٨/٤.

ولا يزال الناس قديماً و حديثاً يهتمون بشأن عظمائهم وعلمائهم ومن كان لهم دور في تبصير مجتمعاتهم وتثقيفها وتوجيهها.

وإن ذكر سير العلماء ومناقبهم له تأثير بالغ في النفوس وهذه الصفة جعلها الله سبحانه في نفوس البشر وهي صفة التأثُر والتأثير بين الناس أنفسهم، لذا كان من واجب المختصين من أهل العلم إبراز شخصيات علماء الأمة الإسلامية الذين جسدوا في أنفسهم بفضل الله عليهم واقعاً تربوياً مارسوه في حياتهم وعاشوا عليه فشاهده كل من اقترب منهم، فكان العلم الذي تعلموه مطبقاً في حياتهم وهذا ما تحتاجه التربية وهو أن يكون هناك واقع ملموس تطبق فيه تلك المعايير التربوية، وبعد أن تبين فضل أهل العلم وحاجة المجتمع إلى إبراز قدوات من قواد المربين فإن المفكر عبد الرحمن حبنَّكة الميداني كان ممن سخر وقته وقلمه للدفاع عن الدين وأهله والتحذير من مكائد الأعداء، كما قام بتوجيه العلوم توجيهاً إسلامياً وذلك لبعد بعض أبناء المسلمين عن كتاب الله وسنة رسوله وافتتانهم بكل ما هو وافد من الحضارة الغربية، فبعد أن بنى المسلمون حضارة إسلامية سادت وقادت الأمم حين فهمت دورها في الخلافة في الأرض وقامت به خير قيام، قام أعدائها بالتصدي لها، فتصدت الأمة لتلك الحملات أيام قوة الدول الإسلامية، ومع كثرة الضغوط الداخلية والخارجية ضعفت، ثم ابتعدت عن الدين وافتتنت بحضارة الغرب فتصدى لهذه الفتنة طائفة من العلماء حين رأى المهتمون بالتربية والتعليم في البلاد الإسلامية والعربية ضرورة توجيه العلوم التربوية توجيهاً إسلامياً بحيث تتوافق مع مقتضيات العصر وتسري فيها روح الإسلام الحق وهذه المهمة لا يتصدى لها إلا جهابذة المفكرين الذين يعنون بالتأصيل والتوجيه الإسلامي، ومن هؤلاء الفضلاء عَلَمنا الذي تناولته بالدراسة، وظهر لي من كتاباته وجهوده في التوجيه لكثير من العلوم والمعارف أنه على قدر كبير من الإيمان بالله تعالى، فلم يتأثر بالفلاسفة الماديين بل تصدى لهم ولكل الاتجاهات الفكرية المضادة لدين الإسلام ورد عليها وحذّر منها.

ولقد تعمدت إلقاء الضوء على أبرز أفكاره وذلك بالرجوع لعدد من كتبه فلم اكتفي بكتاب أو اثنين من مؤلفاته، ليتضح مدى توسع فكره وسعة اطلاعه وغزارة علمه فهو مفكر موسوعي يملك فكراً مستنيراً وثقافة عالية وعلماً وافراً، وله اطلاع في علوم شتى وتوجيه لبعض تلك العلوم، نظراً لدراسته في معهد التوجيه الإسلامي حيث كانت الدراسة فيه دراسةً موسوعيَّة أصيلة، يتدرَّجُ فيها المتعلم من مبادئ العلوم إلى أعلى المستَويات كما سيأتي في حياته التعليمية، لذا استطاع الميداني أن يُبحر في علوم شتى، فلقد كتب في عدة مجالات منها: العقيدة وتفسير بعض آيات القران ووضع قواعد للتدبر والتأمل في كتاب الله تعالى، كما شرح بعض أحاديث السنة النبوية، وكتب في العبادات والآداب والأخلاق والمنطق، كما كتب أيضاً في البلاغة العربية وأسسها وله دواوين شعرية عديدة، كما كتب أيضاً عن مكايد أعداء الإسلام وحذر من خطر العدو المباشر وغير المباشر، وبيّن المنهج الرئيسي للغزو الفكري من خلال سبره لخطط ومكايد الأعداء، كما وضّح أساليب الغزو الفكري والسلوكي والنفسي والخلقي وبصّر بها وحذّر منها في عدد من كتبه رحمه الله.

كما يظهر من كتابات الميداني أنه منظِّر محترف ومؤصل متمكن، فقد لاحظت أنه يُركز على الأسس والقواعد التي ينبغي السير عليها، وليس ذلك فحسب بل إنه يتناول الضوابط والطرق الصحيحة الموصلة للهدف بالتحديد، كما يتعرض أحياناً لبعض التطبيقات التربوية العملية وذلك في العديد من كتبه ومنها: الأخلاق الإسلامية وأسسها، والعقيدة الإسلامية وأسسها، والحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها، وكتاب البلاغة العربية أسسها وعلومها وصور من تطبيقاتها، ولا يتمكن من هذا الفن إلا الجهابذة من العلماء والمفكرين.

كما أن الميداني مبدع في التصنيف والتقسيم والتحليل بأسلوب سهل ميسر يفهمه الجميع وذلك لأنه مناسب لطلاب العصر، منسجم مع أساليب المؤلفات المعاصرة مع زيادة في العمق والشمول، ولعل دراسته لعلم المنطق قد مكنته من صياغة الأسس والقواعد الرئيسة وتحليلها بطريقة سهلة

ميسرة للجميع، ومما جعلني أعلل بهذا ما ذكره في كتابه ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال حيث قال: "من الوسائل النافعة جداً أو الضرورية في كثير من الأحيان في مجال اكتساب المعارف الحسية أو الاستنباطية النظرية أو العملية عمليات التحليل أو التركيب، ويُقصد بالتحليل تجزئة الكل إلى أجزائه التي يتألف منها بسيطة كانت أو مركبة، ودراسة كل جزء منها دراسة خاصة به لمعرفة صفاته وخصائصه ووظائفه...وبعد عملية التحليل تأتي عملية إعادة التركيب أو ابتكار شيء جديد يفترضه التخيل ملاحظاً الملائمة بين التركيب الذي يتخيله وبين غاية من غايات الإنسان في الحياة...وبعد عملية التحليل يصدر أحكامه العامة التي توصل إليها ثم يجري تطبيقاته العملية وفق ما توصل إليه هو أو غيره من الباحثين..." [٣]

خطة البحث: يتكون البحث من خمسة مطالب وخاتمة وفهرس للمراجع.

المطلب الأول: عرض السيرة الذاتية لعبد الرحمن حبنكه الميداني، والتعليق عليها.

المطلب الثاني: عرض أفكار الميداني في توجيه أصل الإنسان وحدود طاقاته وإدراكاته من كتابه العقيدة الإسلامية وأسسها، والتعليق عليها.

المطلب الثالث: عرض أفكار الميداني في توجيه المعرفة الإنسانية توجيهاً إسلامياً من كتابه ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، والتعليق عليها.

المطلب الرابع: عرض أفكار الميداني في توجيه الأخلاق توجيهاً إسلامياً والرد على الفلاسفة الماديين من كتابه الأخلاق الإسلامية، والتعليق عليها، وعلى كتاب الأخلاق بصفة عامة.

المطلب الخامس: عرض بعض أفكار الميداني في التحذير من مكايد العدو وخطر الغزو بكل أنواعه من كتابه أجنحة المكر الثلاثة، والتعليق عليها.

أما التعليق على فكر الميداني وكتاباته ككل فقد تناولته في المقدمة ولن أتعرض له مرة أخرى للبعد عن التكرار والإطالة.

المطلب الأول: السيرة الذاتية لعبد الرحمن حبنكه الميداني.

مولده ونشأته:

"وُلدَ العلاَّمة عبد الرحمن حسن مرزوق حَبَنَّكَة المَيداني الدِّمشقي سنة ١٣٤٥هـ (١٩٢٧م)، في أحد أعرق أحياء دمشقَ، حيِّ المَيدان، لأُسرة علمٍ ودعوة وجهاد؛ فأبوه العلاَّمةُ المربِّي المجاهد حاملُ لواء الدَّعوة في الشام، الإمامُ حسن حَبَنَّكَة المَيداني، عضوُ المجلس التأسيسيِّ لرابطة العالم الإسلاميِّ، وتَرجعُ أُصولُ أسرة الشيخ إلى عَرَب بني خالد الذين تمتدُّ منازلُهم إلى بادية حَماة من أرض الشام.

نشأ المفكر الميداني في بيت أبيه الذي كان دار علمٍ وتوجيه، ومَجْمَعَ فقهٍ وفَتوى، وتَرَعرَعَ في أكناف والده، يَحوطُه بعنايته ورعايته، ويُعدُّه ليكونَ خليفةً له في العلم والدَّعوة.

حياته التعليمية:

تلقى العلم في المدرسة الشَّرعيَّة النَّموذجيَّة التي أسَّسها أبوه الإمامُ وسمَّاها: معهدَ التوجيه الإسلاميِّ، وهي مدرسةٌ داخليَّة مجانيَّة، كان نظامُ التعليم فيها فريدًا مُتميِّزًا، على طريقة علماء المسلمينَ المتقدِّمينَ، والدراسةُ فيها دراسةً موسوعيَّة أصيلة، يتدرَّجُ فيها الطلاَّبُ من مبادئ العلوم

---

[٣] عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة -صياغة للمنطق وأصول البحث متمشية مع الفكر الإسلامي- ، ط٤، دمشق، دار القلم، ١٤١٤هـ ص١٣٩.

إلى أعلى المستَويات، وقد تخرج منه عدد من علماء دمشق المعروفين كالشيخ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، والشيخ الدكتور مصطفى سعيد الخنّ، والشيخ حسين خطَّاب رحمه الله، والدكتور مصطفى البغا، وغيرهم.

وكان الشيخُ حسن يدرِّب طلاَّبَه - ومنهم ابنُه عبد الرحمن - على إعداد خُطَب ودُروس ومُحاضَرات، وإلقائها، وهم لا يزالون حَديثي الأسنان، مما كان له أعظمُ الأثر في تمكُّنهم من الخَطابة والوعظ والتعليم، وفي تكوين شخصيَّاتهم العلميَّة والدَّعَويَّة.

تخرَّج من معهد التوجيه الإسلامي سنة ١٣٦٧هـ (١٩٤٧م)، وكان أبوه عَهِدَ إليه بالتدريس في نفس المعهد وهو ابنُ ١٥ سنة، ثم أسنَدَ إليه بعد تخرُّجه تدريسَ عدد من العلوم، منها: الفقه، والأُصول، والتوحيد، والمنطِق، والبلاغة.

وفي سنة ١٣٧٠هـ التحقَ بكُلِّية الشريعة في الأزهر الشَّريف، وحازَ منها الإجازةَ العاليةَ (ليسانس في الشريعة)، ثم حازَ شهادةَ العالِميَّة مع إجازةٍ في التدريس (ماجستير في التَّربية وعلم النفس).

بعد تخرُّجه في الأزهر عملَ مُدرِّسًا في ثانويات دمشقَ الشرعيَّةِ والعامَّةِ، إضافةً إلى التدريس في معهد التوجيه الإسلامي.

وتولَّى مُديريَّةَ التعليم الشرعيِّ التابعةَ لوزارَة الأوقاف، وكان في إدارَته حكيمًا رَشيدًا، يعملُ بهمَّةٍ وصمتٍ، ومن أهمِّ ما أنجزَهُ في إبَّان إدارته: تأسيسُ عددٍ من المدارس الشرعيَّة في بعض المحافظات السوريَّة، منها ثانويةٌ شرعيَّة للإناث بدمشقَ، وأُخرى بحلبَ.

في سنة ١٣٨٧هـ (١٩٦٧م) انتقلَ إلى الرياض أستاذًا في جامعة الإمام محمَّد بن سُعود الإسلاميَّة، قضى فيها سنتين، ثم انتقل إلى مكَّةَ المكرَّمَةِ فعمل أستاذًا في جامعة أمِّ القُرى زُهاءَ ثلاثين عامًا، حتى بلغَ السبعين.

اختيرَ الشيخُ عبد الرحمن عضوًا في المجلس التأسيسيِّ لرابطة العالم الإسلاميِّ في مكَّةَ المكرَّمَةِ، وعضوًا في مجلس هيئة الإغاثة الإسلاميَّة العالميَّة.

وكان له الكثيرُ من المشاركات في المؤتمرات والنَّدوات، منها: مؤتمرُ التعليم الإسلاميِّ، ومؤتمرُ الاقتصاد الإسلاميِّ، اللذان عُقِدا في مكَّةَ المكرَّمَةِ، ومؤتمرُ الأدب الإسلاميِّ الذي عُقِد في (لكهنو) الهند، ومؤتمرُ الدعوة والدُّعاة الذي عُقِدَ في المدينة المنوَّرَة على ساكنها أفضلُ الصلاة وأتمُّ التسليم.

وله مشاركاتٌ كثيرةٌ في إلقاء المحاضَرات العامَّة، والأُمسيَّات، والنَّدوات العلميَّة، ضمن الأنشطة الثقافيَّة داخلَ جامعة أمِّ القُرى وخارجَها.

وله إسهاماتٌ تلفازيَّة وإذاعيَّة، وقد استمرَّ في تقديم أحاديثَ إذاعيَّةٍ يوميَّة أو أُسبوعيَّة ما يزيدُ على ٣٠ عامًا.

كان الشيخُ رحمه الله شديدَ الحرص على وقته، فلا يكادُ يُرى إلا قارئًا أو كاتبًا، أو محاضرًا أو مناقشًا، وكان ذا دَأَبٍ وجَلَدٍ على العلم والعمل المتواصل، وكان موسوعيَّ الثقافة، واسعَ الاطِّلاع.

تميَّز نتاجُه العلميُّ بالغَزارة مع العُمق والشُّمول، وقد جمعَ في كتاباته بين القديم والحديث، وبين التخصُّص الشرعيِّ الدقيق والعلوم الدنيويَّة العصريَّة.

من مؤلفاته:

أولاً ـ سلسلةُ في طريق الإسلام، منها:

١ ـ العقيدةُ الإسلاميَّة وأُسُسُها.

٢ ـ الأخلاقُ الإسلاميَّة وأُسُسُها.

٣ ـ الحضارةُ الإسلاميَّة وأُسُسُها ووَسائلُها.

٤ ـ الأمَّةُ الربانيَّة الواحدَة.

٥ ـ فقهُ الدَّعوة إلى الله، وفقهُ النُّصْح والإرشاد.

ثانيًا ـ دراساتٌ قرآنيَّة، منها:

١ ـ قواعدُ التدبُّر الأمثَل لكتاب الله عزَّ وجلَّ.

٢ ـ مَعارجُ التفكُّر ودقائقُ التدبُّر (وهو تفسير بديع للقرآن الكريم في ١٥ مجلداً).

٣ ـ أمثالُ القرآن وصُوَرٌ من أدبه الرَّفيع.

ثالثاً ـ سلسلةُ أعداء الإسلام، منها:

١ ـ مَكايدُ يهوديَّةٌ عبرَ التاريخ.

٢ ـ صراعٌ مع الملاحِدَة حتى العَظْم.

٣ ـ أجنحَةُ المكر الثلاثةُ وخَوافيها (التبشير، الاستشراق، الاستعمار).

٤ ـ الكَيدُ الأحمرُ (دراسة واعية للشيوعيَّة).

٥ ـ غَزوٌ في الصَّميم.

٦ ـ كَواشِفُ زُيوفٍ في المذاهب الفكريَّة المعاصرَة.

٧ ـ ظاهرةُ النفاق وخَبائثُ المنافقين في التاريخ.

رابعًا ـ سلسلةُ من أدب الدَّعوة الإسلاميَّة، منها:

١ ـ مبادئُ في الأدب والدَّعوة.

٢ ـ البلاغةُ العربيَّة (أُسُسُها وعُلومُها وصُوَرٌ من تَطبيقاتها).

٣ ـ ديوانُ ترنيمات إسلاميَّة (شعر).

٤ ـ ديوانُ آمَنتُ بالله (شعر).

خامسًا ـ كتبٌ متنوِّعَة:

١ ـ ضَوابطُ المعرفة وأصولُ الاستدلال والمناظَرة.

٢ ـ بَصائرُ للمسلم المعاصِر.

٣ ـ الوالدُ الداعيةُ المربِّي الشيخُ حسن حَبَنَّكَة المَيداني (قصَّة عالم مجاهد حَكيم شُجاع).

٤ ـ التحريف المعاصر (ردٌّ على كتاب د.محمد شحرور: الكتاب والقرآن قراءة معاصرة).

ولزوجته الدَّاعية المربِّية عائدة راغب الجرَّاح الأستاذة بجامعة أمِّ القُرى سابقًا – رحمها الله تعالى (توفِّيت قبل الشيخ بزُهاء سنتين) - كتاب: عبدُ الرَّحمن حَبَنَّكَة المَيدانيُّ العالم المفكِّر المفسِّر (زوجي كما عرفته)، صدرَ عن دار القلم بدمشقَ، ضمن سلسلة: علماء ومفكِّرون معاصرون، لمحاتٌ من حياتهم، وتعريفٌ بمؤلَّفاتهم.

وفاته:

في ليلة الأربعاء ٢٥ من جُمادى الآخرة ١٤٢٥هـ قضى الله قضاءه الحقَّ بوفاة الشيخ عبد الرحمن حَبَنَّكَة المَيداني، عن ٨٠ سنة، في إثْر مرض شديد ألَمَّ به.

شُيِّعَت جِنازةُ الشيخ عصرَ يوم الأربعاء، وكانت جِنازةً حافلةً مشهودةً، خرجَ فيها آلافُ المشيِّعينَ من العلماء والكُبَراء والعامَّة، تملؤُهم الحسرةُ وتَمُضُّهُم الأحزان، وصُلِّي عليه في جامع الأمير مَنْجَك في حيِّ المَيدان، وأبَّنَهُ عقِبَ الصَّلاة شيخُ قرَّاء الشام فضيلةُ الشَّيخ محمد كريِّم راجح، وألقى ولدُه الدكتور وائل قصيدةً في رثائه، ثم وُوريَ في مثواهُ الأخير من دار الدُّنيا بمقبرة الجُورَة في المَيدان." [٤]

❖ التعليق على السيرة الذاتية:

كانت نشأة الشيخ عبد الرحمن الميداني في بيئة يغلب عليها الطابع العلمي والدعوي وكان لوالده الشيخ حسن حبنكة فضل تربيته وتأديبه وتعليمه، حيث كان من أكبر دعاة الشام وعلمائها فحرص على تعليم ابنه وتأديبه بآداب الكتاب والسنة وكان له ما أراد، كم أن عالمنا كان سليم المعتقد يتبع عقيدة أهل السنة والجماعة، وكان على منهج السلف، كما أنه تمكن من دراسة الفقة والأُصول، والتوحيد، والمنطِق، والبلاغة مما سهّل عليه التدريس والتوجيه والتأليف والتصنيف فيما بعد والرد على الفلاسفة والمناطقة والملاحدة.

يقول عنه طالبه مجد مكي: " يُعَدُّ بحق مدرسة علمية متميزة قائمة بذاتها في عطائها وإنتاجها، وابتكارها واستنباطها، وتحليلها وربطها، وقد وفقه الله سبحانه إلى ذلك الإنتاج العلمي الغزير، بما حباه الله من ذكاء وبصيرة نفاذة، وأُفق واسع، وأساس علميٍّ متين، وتمكُّن من علوم كثيرة، كعلم المنطق، والأصول، واللغة، والفقه. . مع إخلاص عميق، وصلة قوية بالله عز وجل، واعتماد عليه سبحانه، واستشعار لفقره وحاجته الدائمة إلى عطائه عز وجل وعونه، وكم كان يُردد ويقول ويؤكد: أنه ليس عنده شيء، و أن كل ما يكتبه هو من فيض عطاء الله عليه ومَدَده وتوفيقه، وكان يؤكد في لقاءاته مع إخوانه وأبنائه من طلبة العلم على ضرورة التزام منهج الوسطية، والبعد عن الغلو والشطط في كل صوره وأشكاله. .. ويحذر من التبعية العمياء، والتعصب والانغلاق، ويدعو إلى دوام التفكر والتأمل والتبصر ومراجعة الأمور والنظر في عواقبها، كما كان يرسخ في نفوس طلابه معاني الإخلاص والصدق، وابتغاء رضا الله سبحانه، وإيثار الدار الآخرة. .. ويحذر من حظوظ النفس وشهواتها وتزييناتها، كان من أشد الناس زُهداً في المناصب، وقد عرض عليه أن يكون مفتياً للجمهورية السورية، وأغري بهذا المنصب، ففرَّ منه، واضطر أن يقيم بعيداً عن موطنه خمسة وعشرين عاماً، لم يزره خلال هذه المدة الطويلة إلا في الأشهر القليلة التي عاد فيها إلى دمشق قبيل وفاته، وسمعته يقول: لقد حاول بعضهم إلزامي باستلام منصب المفتي العام، لكنني

---

[٤] موقع ملتقى النخبة الإسلامي، www.nokhbah.net

لقد حرصت على أخذ سيرة ذاتية موثقة لشخصية عبد الرحمن الميداني ولم أوفق ، وقد تواصلت مع ابنه محمد عبد الرحمن الميداني ودلني على كتاب والدته عائدة الجراح وبحثت عنه في مكتبات مكة المكرمة وغيرها من المكتبات ولم أجده .

فررت منه، وأكرمني الله بالإقامة بمكة المكرمة، والتفرغ لكتابة التفسير، كما كان يبتعد عن الشهرة والأضواء ويكره النفاق والتملق، وهو خبير بدخائل المنافقين، ومسالك أعداء الإسلام، ومن مظاهر نفرته عن الشهرة وحب العاجلة، أنه لم يتطلع إلى جائزة تقديرية من أي جهة علمية، وهو جدير بها، وأهل لها، بما قدم من دراسات قرآنية مبتكرة، وكتب فكرية عميقة ولا يرضى أن ترشحه بعض الجهات لهذه الجوائز، ويعد ذلك منقصاً للأمر الذي ادخره الله سبحانه لعباده الصادقين المخلصين، وقد رغب إليه بعض الوجهاء أن يكرمه في حفل كبير، يدعى إليه كبار العلماء والأدباء والمفكرين، يتناولون فيه عطاءه الفكري والدعوي والتربوي ويشيدون بجهوده ويمدحه بعضهم بقصائده فأبى وامتنع رغم الإلحاح الشديد خوفاً من شوائب الرياء وحب الثناء والتفاخر.

ومن أخلاق الشيخ العلمية: حب المناقشة والحوار العلمي، وسعة الصدر والتحمل لأسئلة السائلين، يقول تلميذه مجد مكي: "كم من مرة اتصلتُ به بالهاتف في بيته بمكة المكرمة، أسأله عن قضية علمية أستشكلها أو استغلق علي فهمها أو عن رأي قد أخالفه فيه في بعض كتبه، فكان يُسرُّ جداً بتلك المناقشات، ويتسع صدره لها، ويبدي وجهة نظره التي ذهب إليها ورجحها، كما كان يفرح بكل فائدة علمية جديدة أو تصويب.. وقد قمت بقراءة تفسيره الأخير، واستعرضت جميع كتبه النافعة، وبيَّنت له بعض الأخطاء المطبعية النادرة، وكتبت له بعض الآراء والأقوال التي ذهب إليها في كتبه السابقة، مما يخالف ما ذهب إليه ورجَّحه في تفسيره التدبري الأخير.. فذهب إلى ترجيح ما ذهب إليه في تفسيره، الذي وصل فيه إلى ترجيحاته بعد دراسة متأنية لكل سوره، وسبر لكل كلمة قرآنية.. ووعد بأن ينبه إلى ذكر ما خلف اجتهاده وترجيِّحه في كتبه السابقة لتفسيره، وشكرني على ما قمت به، ودعا لي بكل خير، وقدمت إليه مرة كتاب: " غريب القرآن " للعلامة عبد الحميد الفراهي الهندي، وأطلعته على ما كتب حول كلمة "آلاء" مما يخالف ما ذهب إليه جمهور المفسرين بقصر معناها على النعم، وقد ذهب الشيخ إلى ما ذهب إليه جمهور المفسرين عند تفسيره لآية سورة النجم (فبأي آلاء ربك تتمارى) وتفسيره لآية سورة الأعراف: (فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون) فأعجب الشيخ بما ذهب إليه الفراهي، وما أيده من شواهد شعرية تفيد أن المعنى: الفِعال العجيبة والصفات العظيمة، ووعد بأن يذكر هذا المعنى عند تفسيره لسورة الرحمن، وهي من التنزيل المدني"[٥] وهذا دليل على تواضعه وحبه للعلم وأهله رحمه الله.

المطلب الثاني: أراء الميداني في الإنسان:

- أصل الإنسان ومبدأ خلقه:

تحدث الميداني عن أصل الإنسان وأطوار خلقه كما بينها لنا القران الكريم وذلك لأنه فيلسوف مسلم ومفكر مبدع متأمل استقى معارفه من المنهج القويم، فذكر أولاً أن الإنسان قد أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً فلقد مر عليه مديد من الدهر لم يكن للإنسان فيه وجود فهو كائن حادث غير قديم وبهذا تشهد الدراسات العلمية الحديثة والحقائق الفلسفية والرياضية، ثم بيّن الميداني كيف خلق الإنسان الأول، وأبان لنا كيفية خلق الإنسان وأنه مرّ بعدة مراحل.

يقول الميداني: " أما بدء خلق الإنسان فقد مر في مراحل: فالعنصر الأول من العناصر التي تكون منها هو الماء ،والعنصر الثاني هو التراب، والتراب يحتوي على جملة من مختلف عناصر الأرض، ثم كانت مرحلة الطين اللازب: أي المتماسك اللزج الذي يلتصق بعضه ببعض، ثم تغير الطين فصار حمأً، ثم صار الحمأ مسنوناً، ثم جفّ وصار صلصالاً كالفخار، ثم نفخ الله فيه الروح

---

(٥) موقع رابطة العلماء السوريين، http://www.islamsyria.com

من لدنه فكان بشراً سوياً ذكراً، ثم خلق منه زوجه الأنثى على مثل صورته وصفاته بإستثناء الأنوثة وخصائصها " [٦]

وقد بيّن الميداني أن هذه الأطوار كلها بالنسبة إلى الإنسان الأول، أما بالنسبة للسلالات البشرية بعد خلق آدم وزوجه، فمراحله من النطفة ثم تكون النطفة علقه في أرحام الأمهات ثم خلق العلقة مضغة ثم خلق المضغة عظاماً ثم كسا العظام لحماً ثم تأتي مرحلة نفخ الروح الإنسانية التي يكون بها الجنين خلقاً آخر، فإذا تمت دورة حمله نزل من بطن أمه وليداً يستهل صارخاً، وقد أكّد الميداني أن بين المراحل البارزة هذه أطوار من الخلق منها ما اكتشفه البحث العلمي ومنها لا يزال غيباً في علم الله الخالق عزّ وجل.

ويؤكد الميداني أنّ ما اكتشفه الإنسان مما يخضع لإمكان البحث الإنساني لم يعد غيباً بل قد أصبحت أمور معروفة تماماً ومثبتة في الدراسات العلمية الإنسانية وقد أثبت البحث العلمي ما جاء في كتاب الله، ويقول في هذا الشأن: " أما بدء خلق الإنسان الأول وخلق زوجه منه فهو لا يخضع للمشاهدة الإنسانية ولا يخضع للتجربة فلابد من التسليم بما جاء في كتاب الله تعالى في شأنه، وكل تفسيرات إنسانية تخالف ما جاء في الدين الصحيح فإنها تكهنات وتخرصات ورجم بالغيب ولا تملك أدلة صحيحة تثبتها " [٧]

وقوله هذا يدل على العمق الإيماني الذي جعله يعمم خطأ كل البحوث التي تحيد عن الدليل الصحيح مهما بلغت دقتها مالم تستنير بنور الوحي.

- نشأة الإنسان والغاية من خلقه:

إن الغاية من خلق الإنسان في هذه الحياة لا يقر بها ويعرفها من الفلاسفة إلا الفيلسوف المسلم الذي يؤمن أن هذه الدنيا دار ممر ليست للمستقر وقد دلت النصوص على أن الغاية من خلق الإنسان في ظروف هذه الحياة الدنيا هي الابتلاء والاختبار وهذا ما أشار إليه الميداني في كتاباته حيث قال: " فخلق الله لهذا الإنسان من أخلاط من الصفات الكبرى الجسدية والفكرية والنفسية، إنما كان ليضعه موضع الإبتلاء في ظروف هذه الحياة، وفي هذا بيان كافٍ للغاية من خلقه بصفاته وخصائصه الفكرية والإرادية والنفسية والجسدية " [٨]

- حدود طاقات الإنسان ومدركاته:

يقول الميداني عن حدود عقل الإنسان: " للعقل حدود ينتهي إليها متى وصل إليها أعلن عجزه، إنه محدود بين شيئين هما الزمان والمكان، لذلك دائماً يسأل متى؟ وأين؟ مع أن الحقائق الكبرى لا مكان لها ولا زمان، ولكن العقل عاجز عن تصور ذلك. .. وعالم الغيب لا يستطيع العقل مستقلاً أن يحكم على شيء فيه بإثبات أو نفي. .. إذن فما هو وراء العقل قد يكون بعيداً عن تصور العقل وتوهمه ُبعداً بالغ الأهمية لأن العقل محجوب عنه في حدوده التي لا يستطيع أن يتعداها لكنه لا يمكن أن يكون وراء العقل أشياء يحكم العقل حكماً قاطعاً باستحالتها " [٩]

---

[٦] عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ط٧، دمشق، دار القلم، ١٤٢٩هـ، ج١، ص٣٣٤.

[٧] عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها ، مرجع سابق ، ج١، ص٣٤٠.

[٨] عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها ، المرجع السابق، ص٣٤٢

[٩] عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة -صياغة للمنطق وأصول البحث متمشية مع الفكر الإسلامي- ، ط٤، دمشق، دار القلم، ١٤١٤هـ ص١٣٠

ويقول عن الحواس وحدودها:

" أما حواسنا التي هي السبيل الوحيد لنا للتعرف على الوجود من حولنا فهي منافذ قصيرة المدى، محدودة كماً وكيفاً، لذا لا يحق لنا أن ننكر أشياء من حقائق الكون إنكاراً باتاً قطعياً لمجرد أننا لم نرها ولم نسمع صوتها ولم نتصل بها بأية حاسة من حواسنا. .." (١٠)

ويقول أيضاً: " إن خيالنا محصور حصراً تاماً فيما تدركه حواسنا، فنحن مهما أوتينا من قدرة خيالية فلا نستطيع أن نتخيل حقيقة ما من الحقائق ما لم ندرك نموذجاً عنها بحواسنا، ومن ذلك يستحيل علينا أن نتخيل حقيقة الدار الآخرة وما فيها في صورة، لأننا لم نتصل بأي شيء مما فيها عن طريق أي حاسة من حواسنا. .." (١١)

مما سبق يتضح أن الميداني يريد أن يصل بالقارئ إلى أن القوة الإدراكية في الإنسان من الحواس والعقل والخيال لا تستطيع أن تكشف كل شيء من حولها لأن لها حدود تقف عندها ولا تتجاوزها ولا تستطيع أن تكتشف أكثر مما تملك، وكأن في هذا رد على الماديين الملحدين الذين لا يؤمنون الا بما تراه عيونهم وتسمعه آذانهم وتلمسه أيديهم ويقع تحت تخيلهم واستنتاجهم وينكرون عالم كل ما وراء الطبيعة لعجز ملكاتهم عن الصلة بخفايا الكون والكشف عما فيه وما وراءه.

- أوصاف الإنسان بوجه عام:

استنبط الميداني بعض الأوصاف للإنسان من خلال القران الكريم مدللاً على كل منها بدليل من القران الكريم ومن هذه الأوصاف:

الإنسان مخلوق ضعيف، الإنسان هلوع، الإنسان عجول، الإنسان قتور شحيح، الإنسان أكثر شيء جدلاً، الإنسان جحود كنود كفور وغيرها من الصفات التي ذُكرت في نصوص صريحة واضحة في كتاب الله تعالى، عدا صفة ذكرها الميداني وهي قوله (الإنسان حيوان مبين)

فمن وجهة نظري القاصرة أرى أنها غير مناسبة، فالله تعالى كرم الإنسان عن الحيوان ولم يوصفه بهذا الوصف، وبالرغم من عدالة فكر الميداني وشهادته بتكريم الله للإنسان إلا أنه أخطأ في هذا الوصف حينما اعتبر الإنسان من الدواب والحيوانات، وقد قال في موضع آخر " الإنسان قمة المخلوقات الحيوانية في الأرض" (١٢)

فالقران الكريم لم يعبر عن الإنسان إلا بصفة الإنسانية للتكريم عن سائر المخلوقات وكذلك الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لم يثبت عنه شيء كهذا، فلعل الميداني حينما أراد أن يرد على الفلاسفة القائلين بأن الإنسان حيوان ناطق رد بقوله أن الإنسان حيوان مبين ولم يُوفق للصواب في هذه اللفظة.

المطلب الثالث: أراء الميداني في الأخلاق.

- تعريفه للأخلاق وتفريقه بين السلوك الأخلاقي وبين أنواع السلوك الإنساني:

يؤكد الميداني في مطلع كتابة على تعريف الأخلاق ويفرق بين السلوك الأخلاقي وبين أنواع السلوك الإرادية الأخرى للإنسان، فالخلق صفة مستقرة في النفس – فطرية أو مكتسبة - ذات آثار في السلوك محمودة أو مذمومة.

---

(١٠) عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، ط٢، دمشق، دار القلم، ١٣٩٩هـ، ص١٥.

(١١) المرجع السابق، ص١٨.

(١٢) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها ، مرجع سابق، ج١، ص٣٣٦.

فليست كل صفة مستقرة في النفس تعد من الأخلاق، لأن منها غرائز لا صلة لها بالأخلاق، وإن ما يميز بينهما هو الآثار القابلة للمدح أو الذم.

ومثال ذلك أن الإنسان عند الجوع يأكل بدافع الغريزة – سلوك - فهذا فعل ليس مما يُحمد أو يُذم في باب السلوك الأخلاقي، لكن لو أنه أكل أكلاً زائدا عن حاجته الغريزية بدافع الشره، صار فعلاً مذموماً – خُلقاً - لأنه أثر لخلق في النفس مذموم وهو الطمع المفرط وعكسه أثر لخلق في النفس محمود وهو القناعة.

ومن هنا فإن الميداني يرى أن حشر أنواع السلوك الإنساني تحت عنوان الأخلاق خطأ فادح يوقع كثير من الباحثين في أخطاء جوهرية وذلك لعدم تمييزهم بين أنواع السلوك الانساني، فالأصل في السلوك الانساني من وجهة نظر الميداني أنه يهدف إلى تحقيق مطالب جسدية أو نفسية أو فكرية أو روحية، وأي سلوك لتحقيق مطلب من هذه المطالب إما أن يكون سلوكاً خلقياً أو لا علاقة له بالأخلاق إيجاباً ولا سلباً.

وهذا فرق جوهري نبه إليه الميداني فأنواع السلوك متعددة ولا تدخل كلها تحت مسمى الأخلاق.

كما يرى الميداني أن دلالة السلوك الأخلاقي على الخلق الأصيل الثابت في قرارة النفس دلالة ظنية وليست دلالة قطعية، وبالفعل لو نظرنا للإنسان نجد أنه يستطيع أن يتصنع ما ليس من أخلاقه ولا من طبيعته الأصلية لأي سب من الأسباب ولا نستطيع الحكم على الظاهر من أفعاله.

- جوامع مفردات الأخلاق وكلياتها الكبرى:

أرجع الميداني مفردات الأخلاق إلى أصول وكليات عامة فصنفها إلى تسعة أصول كما يلي:
الأصل الأول: حب الحق وإيثاره وأدخل تحت هذا الأصل فروعاً أخلاقية كثيرة منها: الصدق والعدل والوفاء بالوعد والأمانة وغيرها.

الأصل الثاني: الرحمة ويندرج تحتها العفو ومشاورة رئيس الجماعة وولي أمرهم لأهل المشورة رحمة بقلوبهم ،ويندرج تحت خلق الرحمة بر الوالدين وصلة الرحم وإكرام اليتيم والعطف على الفقير والتعاطف بين الإخوان والأصحاب والجيران والشفاعة الحسنة.

الأصل الثالث: المحبة سواءً محبة الله ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم أو محبة الآخرين.

الأصل الرابع: الدافع الجماعي والتآخي في الله والتعاون على البر والتقوى.

الأصل الخامس: قوة الإرادة والجد والحزم والنظام والتفاؤل بالخير وتلقي الأحداث بصبر وعدم الحزن على ما فات، وملك النفس عند الغضب.

الأصل السادس: الصبر ويندرج تحته خلق الحلم وخلق الرفق وكذلك الكتمان وحفظ السر، والدأب والمثابرة، والأناة في الأعمال.

الأصل السابع: الجود وحب العطاء والإنفاق ومن أعلى مراتب حب العطاء الإيثار.

الأصل الثامن: علو الهمة ومن ظواهرها الحياء من الظهور بمظاهر النقص والتحلي بكل ما هو جميل.

الأصل التاسع: سماحة النفس ومنها حسن المصاحبة والمعاشرة والتغاضي، ومنها مبادرة الناس بالتحية والسلام والمصافحة وحسن المحادثة.

- وسائل اكتساب الأخلاق:

ومن آراء الميداني الفكرية أن الأخلاق يُمكن اكتسابها من خلال وسائل وجه إليها المنهج التربوي، وتلك الوسائل هي:

الوسيلة الأولى: التدريب العملي والرياضة النفسية.

يقول الميداني: " إن التدريب العملي والممارسة التطبيقية ولو مع التكلف في أول الأمر، وقسر النفس على غير ما تهوى، من الأمور التي تكسب النفس الإنسانية العادة السلوكية، طال الزمن أو قصر، والعادة لها تغلغل في النفس يجعلها أمراً محبباً، وحين تتمكن في النفس تكون بمثابة الخلق الفطري، وحين تصل العادة إلى هذه المرحلة تكون خلقاً مكتسباً، ولو لم تكن في الأصل الفطري أمراً موجوداً، وقد عرفنا أن في النفس الإنسانية استعداداً فطرياً لاكتساب مقدار ما من كل فضيلة خلقية، وبمقدار ما لدى الإنسان من هذا الاستعداد تكون مسؤوليته، ولو لم يكن دلى النفوس الإنسانية هذا الاستعداد لكان من العبث اتخاذ أية محاولة لتقويم أخلاق الناس، والقواعد التربوية المستمدة من الواقع التجريبي تثبت وجود هذا الاستعداد، واعتماداً عليه يعمل المربون على تهذيب أخلاق الأجيال التي يشرفون على تربيتها وقد ورد في الأثر: (العلم بالتعلم والحلم بالتحلم)، وثبت في الصحيح أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يتصبر يصبره الله) " [١٣]

الوسيلة الثانية: الغمس في البيئات الصالحة.

يقول الميداني: " ومن وسائل اكتساب الأخلاق الفاضلة الغمس في البيئات الصالحة، وذلك لأن من طبيعة الإنسان أن يكتسب من البيئة التي ينغمس فيها ويتعايش معها، ما لديها من أخلاق وعادات وتقاليد وأنواع سلوك، عن طريق السراية والمحاكاة والتقليد، وبذلك تتم العدوى النافعة أو الضارة، وفي الحكم السائرة: أن الطبع للطبع يسرق... ويمكن تلخيص التأثير الجماعي على الفرد بالعناصر التالية:

١- السراية التي تفعل فعلها العميق في كيان الإنسان، وهي من خصائص الاجتماع، وكلما كبر المجتمع كان تأثيره على الفرد الذي ينخرط فيه أكثر.

٢- القوة المعنوية الجماعية، التي يخشى الأفراد عقوباتها المادية والمعنوية، ويرجون مثوباتها المادية والمعنوية.

٣- جاذبية الجماعة لعنصر التقليد والمحاكاة الذي يوجد عند الأفراد.

٤- عنصر المنافسة، وهو من خصائص الجماعة.

٥- رغبة الأفراد بتقدير الآخرين ومحبتهم له وهذا الدافع لا يتحرك إلا في وسط الجماعة، فاستغلاله من خصائص الجماعة.

هذا وقوة الجماعة الخيرة يوجد نظيرها في الجماعة الشريرة الخبيثة، يضاف إليها ميل النفس بفطرتها إلى الأهواء والشهوات التي ترافق رذائل الأخلاق وقبائح الأفعال، لا سيما إذا كان مخالط الأشرار غراً صغيراً غير مضرس في الحياة، وسلطان الغرائز والأهواء فيه أقوى من سلطان العقل والوجدان والضمير..." [١٤]

---

[١٣] عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، مرجع سابق، ج١، ص٢٠٨

[١٤] عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، مرجع سابق، ج١، ص٢١٣

الوسيلة الثالثة: القدوة الحسنة.

يقول الميداني عن القدوة الحسنة: " هي المثال الواقعي للسلوك الخلقي الأمثل، وهذا المثال الواقعي قد يكون مثالاً حسياً مشاهداً ملموساً يقتدي به، وقد يكون مثالاً حاضراً في الذهن بأخباره وسيره وصورة مرتسمة في النفس بما أثر عنه من سير وقصص وأنباء من أقوال أو أفعال، والقدوة الحسنة تكون للأفراد على صفة أفراد مثاليين ممتازين، وتكون للجماعات على صفة جماعات مثالية ممتازة. " [١٥]

الوسيلة الرابعة: الضغط الاجتماعي من قبل المجتمع المسلم.

يقول الميداني عن الوسيلة الرابعة من وسائل اكتساب الأخلاق: " ضمن مجموعة الوسائل التي اعتمد عليها الإسلام في تقويم الأفراد وإصلاحهم وإلزامهم بكمال السلوك وفضائل الأخلاق اعتمد على المجتمع الإسلامي السوي، وذلك لما للمجتمع من سلطة معنوية فعالة ومؤثرة على نفوس الأفراد، وترجع هذه السلطة المعنوية إلى أن الفرد جزء من المجتمع الذي يعيش فيه، وله من مجتمعه مصالح كثيرة مادية ونفسية، وبما أن الإنسان كائن اجتماعي، ولا يستطيع أن يعيش عيشاً سوياً سليماً إلا ضمن مجتمع من الناس، كان ارتباطه بالمجتمع نابعاً من حاجته إليه، والحاجة لشيء ذي إرادة تجعل لهذا الشيء سلطاناً على من كان بحاجة إليه، إذ هو لا يحقق هذه الحاجة من نفسه ما لم يكن راضياً، عندئذ يسعى ذو الحاجة إلى تحقيق رضاه حتى ينال منه حاجته، ومن الحاجات النفسية المرتبطة بالمجتمع حاجة الإنسان إلى التقدير، ولذلك يكدح كثير من الكادحين ليظفروا بتقدير الناس لهم وثنائهم عليهم، ويمنع كثير من الناس أنفسهم من شهوات ملحة، وأهواء يتطلعون إليها، مخافة أن ينظر الناس إليهم بازدراء واحتقار، أو مخافة أن يعاقبوهم بالهجر والقطيعة، أو بالتلويم والتثريب والمذمة، وما ذلك إلا من شعور الفرد بحاجته إلى التقدير، وبحاجته إلى المحافظة على كرامة نفسه بين الناس، وهذا هو الذي يجعل للمجتمع سلطاناً على أفراده، يضاف إلى ذلك أسباب التأثير الجماعي على الفرد. .. وإذ اتخذ الإسلام ضمن وسائله لإلزام الأفراد بالمنهج الأخلاقي الذي رسمه للناس وسيلة الضغط الاجتماعي الذي يمارسه المجتمع الإسلامي، فقد عمل بالتربية الفردية النبوية وبالتربية الجماعية على تكوين المجتمع الإسلامي الأول، ثم جعل من هذا المجتمع رقيباً على أفراده، وحارساً ساهراً، ومحاسباً عادلاً، ومعاقباً بأنواع شتى من أنواع العقاب المعنوي، ومؤنباً، وناصحاً، وآمراً بالمعروف، وناهياً عن المنكر، فمن شأن هذا المجتمع أن يملي على من ينشأ فيه، أو ينخرط فيه، فضائل الأخلاق، ومحاسن السلوك، بصفة عملية فعالة قاسرة " [١٦]

الوسيلة الخامسة: سلطان الدولة الإسلامية.

يقول الميداني: " وللسلطة المادية التي تمارسها الدولة الإسلامية أثر فعال في إلزام الأفراد والجماعات، بالمنهج الأخلاقي الذي رسمه الإسلام للناس، وفي تربية نفوسهم وقلوبهم على الفضائل الأخلاقية، ولذلك كان من مهمات الدولة الإسلامية ضبط انتظام الأفراد والجماعات في نظام الأخلاق الإسلامية، بما توليه من رقابة يقظة، وحراسة ساهرة، ومحاسبة للمنحرفين، وتشجيع للسابقين، وتوجيه وتربية، وبناء وصيانة، ولذلك كان من مهمات الدولة الإسلامية وضع الأنظمة المختلفة، المرغبة بالتزام المنهج الأخلاقي الرباني، والرادعة عن مخالفته، واتخاذ مختلف الوسائل النافعة التوجيهية والتربوية لحماية الأخلاق وصيانتها.

---

[١٥] المرجع السابق، ص٢١٤

[١٦] عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ج١، ص٢١٧

وربما كان وازع السلطة الإدارية هذا أقوى وازع لإلزام الجماهير بسلوك السبيل الأقوام، وقد جاء في الأثر: (إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن)" [١٧]

يظهر من كلام الميداني السابق مدى تأثره بالمنهج النبوي حيث استنبط منه بعض الوسائل التي تمكِّن الفرد من اكتساب الأخلاق، وأضيف لما سبق بعض الوسائل التي أرى من وجهة نظري أنها تعين على اكتساب الأخلاق وهي:

١ – التفكر في الاثار المترتبة على حسن الخلق.

٢ – التواصي بالحق.

٣ – النظر والتأمل في سير الصحابة والسلف الصالح.

٤ – قراءة القران تمعن وتدبر فالقران يهذب الأخلاق.

٥ – التردد على أهل الحلم والمروءة

– الأسس الإيمانية والأسس الأخلاقية ذات أصول نفسية واحدة:

من آراء الميداني الفكرية أن (الأسس الأخلاقية والأسس الإيمانية متلازمة) وذلك مستنبط من قول النبي صلى الله عليه وسلم: [أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم]

يقول الميداني: " ربط الرسول صلى الله عليه وسلم الارتقاء في مراتب الكمال الإيماني بالارتقاء في درجات حسن الخلق، وذلك لأن السلوك الأخلاقي النابع من المنابع الأساسية للخلق النفسي في الإنسان، موصول هو والإيمان وظواهره وآثاره في السلوك ببواعث نفسية واحدة، فصدق العبادة لله تعالى عمل أخلاقي كريم، لأنه وفاء بحق الله على عبيده، وحسن المعاملة مع الناس وفاء بحقوق الناس المادية والأدبية، فهي بهذا الاعتبار من الأعمال الأخلاقية الكريمة، فإذا تعمقنا أكثر من ذلك فكشفنا أن الإيمان إذعان للحق واعتراف به، رأينا أن الإيمان أيضا هو عمل أخلاقي كريم، بخلاف الكفر بالحق فهو دناءة خلقية، فإذا ضممنا هذه المفاهيم إلى المفهوم الإسلامي العام الذي يوضح لنا أن كل أنواع السلوك الإنساني الفاضل فروع من فروع الإسلام، والإسلام التطبيقي آثار للإيمان وثمرات عملية له، إذا جمعنا كل هذه المفاهيم وجدنا أن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم، فأحسن الناس خلقاً لابد أن يكون أصدقهم إيماناً وأخلصهم نية، وأكثرهم التزاماً بما يجب على العباد نحو ربهم من عبادة وحسن توجه له وصلة به، وأكثرهم التزاماً بحقوق الناس المادية والأدبية، ومن المستبعد جداً أن يكون الإنسان ذا خلق كريم مع الناس محباً للحق معطاء متواضعاً صبوراً عليهم رحيماً بهم ودوداً لهم متسامح النفس معهم، ثم لا يكون ذا خلق كريم مع ربه، فلا يؤمن بحق ربوبيته وألوهيته، ولا يذعن له بذلك، ولا يؤدي واجب العبادة له، كما أنه ليس من المعقول أن يكون ذا خلق كريم مع الناس، وهو يأكل حقوقهم ويعتدي عليهم، ويتجاوز حدود الواجب الأدبي الذي توصي به الآداب الاجتماعية الإسلامية، فهذا مناف لما توجبه فضائل الأخلاق، لو كان حقاً ذا خلق كريم، فالأسس الأخلاقية والأسس الإيمانية ذات أصول نفسية واحدة " [١٨]

أما الشق الآخر من الحديث فيقول عنه الميداني: " قول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث: (وخياركم خياركم لنسائهم) فيكشف الرسول صلى الله عليه وسلم فيه أدق الموازين والكواشف التي تكشف عن حقيقة خُلق الإنسان، فأحسن الناس خلقاً في معاملة ومعاشرة النساء هم

---

[١٧] المرجع السابق، ج١، ص٢٢٠

[١٨] عبد الرحمن الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ج١، ص٤٣ .

أحسنهم خلقاً، فهم بسبب ذلك خيارهم، لأن خير الناس هم أحسنهم خلقاً، ومن المعروف أن الإنسان قادر على أن يتصنع التظاهر بمكارم الأخلاق وفضائل السلوك إلى فترة معينة، ومع بعض الناس، أما أن يتصنع ذلك في كل الأوقات ومع كل الناس فذلك من غير الممكن ما لم يكن فعلا ذا خلق كريم، والمحك الذي يمتحن فيه الإنسان امتحاناً صحيحاً ودقيقاً لمعرفة حقيقة خلقه الثابت، هو المجتمع الذي يكون له عليه سلطة ما، وله معه معاشرة دائمة، ومعاملة مادية وأدبية، فإرادة التصنع تضعف حينما يشعر الإنسان بأن له سلطة ونفوذاً، ثم تشتد ضعفاً حينما تطول معاشرته لمن له عليه سلطة، ثم تتلاشى هذه الإرادة حينما تتدخل المعاملة المادية والأدبية، فإذا ظل الإنسان محافظاً على كماله الخلقي في مجتمع له عليه سلطة وله معه معاشرة دائمة ومعاملة مادية وأدبية، فذلك هو من خيار الناس أخلاقاً " [١٩]

ثم يضرب الميداني مثالاً على ذلك حيث يقول: " وأبرز أمثلة هذا المجتمع الذي تتوافر فيه هذه الشروط هو مجتمع أسرة الإنسان، وماله من سلطان فيه على نسائه، وهن الضعيفات بالنسبة إليه، يضاف إلى ذلك أن النساء قد تبدو منهن تصرفات أو مطالب تخرج الحليم عن حلمه، والرصين عن رصانته، والسمح عن سماحته والصدوق عن التزام الصدق، فإذا ثبت الإنسان على خلقه الفاضل رغم وطأة محرجاتهن التي يتبعن فيها أهواءهن، فإنه من خيار الناس خلقاً"[٢٠]

مما سبق يتضح أن الميداني اقتبس أسس الأخلاق من الهدي النبوي الصافي بدليل استشهاده بالأحاديث الشريفة وبعده عن أراء الفلاسفة وغيرهم من التربويين حيث وجّه علم الأخلاق توجيهاً إسلامياً دون التأثر بالفلسفات الأخرى.

- قواعد السلوك الكبرى:

أوجز الميداني قواعد السلوك الكبرى في ثلاث قواعد مستنبطة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث جمع فيها المنهج الخلقي العام والشامل لجوانب العلاقة، سواءً كانت هذه العلاقة: علاقة المسلم بربه أو علاقته بنفسه أو علاقته بالناس من حوله:

ففي الحديث: روى الترمذي بإسناد حسن عن أبي ذر وعن معاذ بن جبل، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: [اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن][٢١]

يقول الميداني معلقاً على الحديث السابق: " ففي هذا الحديث إرشاد إلى قواعد السلوك الكبرى، التي من التزمها فقد أخذ سبيله لارتقاء مراتب المجد والكمال الإنساني، وهذه القواعد ترشد إلى المنهج الخلقي العام، الشامل لجانبي علاقة الإنسان بربه وعلاقة الإنسان بالناس، أما ما يدعو إليه الواجب الأخلاقي بالنسبة إلى علاقة الإنسان بربه، فهو تقوى الله في أي مكان ظاهر أو خفي يكون فيه الإنسان، وذلك لأن الواجب الأخلاقي يفرض على الإنسان طاعة من خلقه فسواه فعدله، فأنعم عليه بالنعم التي لا يستطيع إحصاءها، ويفرض عليه أيضاً حمده وشكره وعبادته، وكل هذه الواجبات يجمعها تقوى الله في السر والعلن، وهذا ما دلت عليه القاعدة الأولى: (اتق الله حيثما كنت) وحينما يتقي الإنسان ربه في كل أحواله الظاهرة والباطنة فلابد أن يكون مخلصاً لله في تقواه، وفي هذا تكمن الروح الأخلاقية السامية البعيدة عن النفاق والرياء والسمعة وطلب الثناء من الناس، أو

---

[١٩] المرجع السابق، ج١، ص٤٥ .

[٢٠] عبد الرحمن الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها ص٤٥ .

[٢١] محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، مرجع سابق، ٤٢٣/٣.

اجتلاب المصالح النفسية أو المادية منهم، هذه هي القاعدة الأولى، وأما القاعدة الثانية وهي قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (وأتبع السيئة الحسنة تمحها) ففيها إرشاد إلى منهج الإصلاح والتقويم، وتدارك النهوض بالنفس بعد سقوطها بارتكاب السيئة، وهذا المنهج ترسمه هذه القاعدة أضبط رسم. فمن سقط بارتكابه السيئة في حالة من حالات الضعف الإنساني فعليه أن يتبع هذه السيئة حسنة مستمدة من منابع الضمير الأخلاقي، فإن للحسنات قوة سبق عجيبة بفضل الله، إذ تمر على السيئات التي كانت قد انطلقت قبلها فتردها وتمحو أثرها عند الله، وتعود نفس المؤمن بالله إلى براءتها ونقائها الخلقي، بعد أن أصابها ما أصابها من أدناس السيئات، وهذه القاعدة مستمدة من قول الله تعالى في سورة (هود):

{وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ} [هود: ١١٤].

وأما القاعدة الثالثة وهي قول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((وخالق الناس بخلق حسن)): فهي تحدد المنهج العام الذي يجب على الإنسان أن يسلكه في علاقاته بالناس، وعنوان هذا المنهج أن يخالق الناس بخلق حسن، أي أن يعاملهم في كل علاقاته معهم بالخلق الحسن " [٢٢]

كما يرى الميداني أن مدارك الأخلاق فكرية علمية، وفطرية وجدانية، وإيمانية ربانية، إن كتاب الأخلاق الإسلامية للميداني يحوي الكثير من آيات القران الكريم وأحاديث النبي المعصوم صلى الله عليه وسلم حيث اقتبس الميداني أفكاره منهما ولم يستدل في كتابه بأي أقوال أخرى بل إنه صرح في مطلع كتابه بقوله: " حاولت أن أبعد عن تصوري كل دراسة للأخلاق قرأتها من قبل للفلاسفة الإسلاميين ولغيرهم ممن سبقهم أو جاء بعدهم رجاء أن لا أقع فريسة لوجهات نظر معينة فأعمل من حيث لا أشعر على تطويع النصوص الإسلامية الأصيلة لتحمل وجهات النظر هذه ولتدل عليها ..." [٢٣] فهذا فيه دلالة على اعتدال فكره وسلامة منهجه وحرصه على توجيه علم الأخلاق توجيهاً إسلامياً لخدمة الدين وأهله.

المطلب الرابع: توجيه الميداني للمعرفة الإنسانية.

تناول في كتابه: (ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة) طرق الوصول إلى المعرفة، وبعض القواعد الأساسية في المعرفة والمدركات الذهنية، وضوابطها، وأقسامها، ثم تحدث عن فن آداب البحث والمناظرة والتوجيهات الإسلامية إلى القواعد العامة للجدال بالتي هي أحسن، كما بيّن تعريف المناظرة وأركانها وشروطها وضوابط المناظرة وتطبيقاتها، كما تناول التفكير والعقل وحدود العقل، ونلحظ في هذا الكتاب توجيهه لعلم المنطق توجيهاً إسلامياً يتماشى مع الفكر الإسلامي ويتناسب مع أساليب ومؤلفات العلوم المعاصرة التخصصية مبيناً فيه ضوابط العقل الصحيح والمعرفة السديدة خادماً فيه الفكر الإسلامي المناسب لطلاب العصر الحاضر.

ومن أقواله التي تدل على توجيهه للمعرفة الإنسانية توجيهاً إسلامياً ما يلي:

"إن عملية البحث عن المعرفة عملية تتعاون فيها وسائل الحس الظاهرة والباطنة وموازين العقل الفطرية والمكتسبة ومعارفه السابقة التي اكتسبها بنفسه والتي تلقاها عن غيره مما اكتسبه

---

[٢٢] عبد الرحمن الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها ج١، ص٥٠-٥١ .

[٢٣] عبد الرحمن الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ج١، ص٥

الآخرون من معارف، يضاف إلى ذلك ما يوحي به الله لأنبيائه من معارف تكون لديهم علوماً يقينية شبيهة بالعلوم اليقينية التي يكتسبها الناس العاديون بحواسهم "[٢٤].

ويقول عن العقل: "العقل مقيد بعالم الحس لا عمل له في الحكم على عالم الغيب (الميتافيزيك)"[٢٥]

أما وظيفة العقل الذي يدرك به الإنسان المعارف ويفهم الحقائق: "جعله الله مسؤولاً عن التفكر في الأدلة الموصلة إلى الحقائق التي تكشف له طريقي الخير والشر في الحياة الدنيا والحياة الآخرة مسؤولاً عن عقل النفس عن الانزلاق وراء أهوائها وشهواتها ونزغاتها التي تتجه به إلى ما فيه ضره أو شره أو هلاكه في عاجل أمره أو آجله، ولذلك اهتمت شريعة الله بشأن العقل والتفكر الموصل إلى الفهم الصحيح اهتماماً عظيماً. .." [٢٦]

ويتضح مما سبق أن الميداني يرشد الباحثين عن المعرفة إلى الطرق الصحيحة لاكتسابها، كما يوجه الباحث عن المعرفة إلى تعاون وتآزر الحواس الظاهرة والباطنة إلى جانب العقل السليم الذي لا يتخبط وإنما يهتدي بهدي الوحي.

المطلب الخامس: كشف خطط أعداء الإسلام ومكائدهم الظاهرة والخفية:

إن من أهم أراء الميداني الفكرية ضرورة التحذير من خطورة أعداء الإسلام، وكشف خططهم ومكائدهم، حيث ذكر على وجه الخصوص خطر المبشرين والمستشرقين والمستعمرين في كتابه أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، وقسَّم الكتاب إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: جمع فيه التعاريف وعناصر الغزو بالحيل ووسائل المكر غير المباشر.

القسم الثاني: جمع فيه ما يتعلق بالهجوم المباشر على الإسلام عن طريق إثارة الشبهات.

القسم الثالث: جمع فيه ما يتعلق بدوافع الغزو وتلخيص عام وتوجيه للمسلمين.

ـ خطر الغزو الفكري:

ومن أقوال الميداني في خطر الغزو الفكري: " إن اليد التي يمكن أن تضغط على زناد المدفع، فتنطلق منه قذيفة تدك بنياناً شامخاً، والتي يمكن أن تحرك مفتاحاً فينبعث منه صاروخ يروّع ويقتل ألوفاً من الناس، والتي يمكن أن تغمز زراً في آلة فتندفع منها قنبلة ذرية أو هيدروجينية فتدكّ مدينة، وتقتل شعباً، وتقوّض حضارة، والتي يمكن أن تخطّ أمراً إلى جيش فيتوجّه إلى حربٍ طاحنة يتحكم بها ويوجّه حركاتها ـ نفس صاحبها التي تسيطر عليها فكرة مهيمنة على عقله فعواطفه فإرادته، من هذا يظهر لنا أن الفكرة من وراء القوى الإنسانية أقوى قوة تتحكم بهذه القوة، وأقدر الناس على التحكم بالقوى المادية هم أقدرهم على تزويد العقول بالأفكار التي يريدون إقناع العقول بها،وأعجز الناس في ذلك هم أكثرهم تهاوناً ببث الأفكار التي يمكن أن تخدم غاياتهم، ومهما بلغت أمة من الضعف في القوى المادية أمام أمة أخرى، فإنما تستطيع أن تستخدم لغاياتها قوى الأمم الأخرى، متى استطاعت أن تغذي عقولهم بما تشاء من أفكار، وتملأ قلوبهم بما تشاء من قناعات ومعتقدات " [٢٧]

---

[٢٤] عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة ، ص١٢٦

[٢٥] عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، مرجع سابق، ص١٩.

[٢٦] عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة ، ص١١ .

[٢٧] عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، ط٧، دمشق، دار القلم، ١٤١٤هـ، ص٢٥ .

يظهر لنا من الكلمات التي سطرها الميداني للأمة والأجيال عبر التاريخ أنه أدرك خطر الغزو الفكري حين غفل الكثيرون من المثقفين، وعلم علم اليقين سبب ضعف الأمة المستهدفة من قِبل أعدائها وتخلفها عن ركب الأمم، وقد ذكر الدواء الشافي الذي يعيد لأبناء الأمة الإسلامية كرامتها وعزتها، فالأفكار والمعتقدات هي التي تبني فعلاً وتهدم، لذا علينا أن نعمل جاهدين على ترسيخ مبادئنا ومعتقداتنا في نفوسنا وفي نفوس أجيالنا حتى لا يكونوا ضحية للمؤامرة ولقمة سائغة لأعداء الملة والدين.

- المنهج الرئيسي للغزو الفكري:

بيّن الميداني المنهج الرئيسي للغزو الفكري من خلال سبره للخطط والمكائد وجد أن الغزاة يفندون أهدافهم بالتحديد قبل البدء حيث يضعون هدفهم غزو أمرين رئيسيين وهما:

الأمر الأول: الفكر الذي يمثّل عقائد الأمّة المغزوّة ومفاهيمها ومبادئها.

الأمر الثاني: السلوك النفسي والظاهر، الذي هو تعبير حركي عن عقيدة الإنسان ومفاهيمه ومبادئه.

ومن خلال هذا المخطط يتبين أن الأعداء يحرصون على تآزر الفكر مع السلوك وذلك لأنهم يؤمنون إيماناً جازماً أن تغيير العقائد والمبادئ والمفاهيم ينتج عنه تغيير في السلوك لكي يلائم المبادئ الجديدة التي أرادها المحتل، وتغيير السلوك بالممارسة العملية سينتج عنه تغيير في العقائد والمبادئ بعد فترة من الزمن.

ومن اقوال الميداني التي يبين فيها خطط الأعداء وترتيباتهم العسكرية الدقيقة للغزو قوله: " وغزو كلٍّ من الفكر والسلوك إما أن يكون عن طريق الفكر، وإما أن يكون عن طريق السلوك التطبيقي، ووفق القسمة العقلية الحاصرة، الناتجة عن ضرب اثنين في اثنين،تظهر لنا الشعب الرئيسية الأربع لهذا المنهج، وهي الشعب المبينة في الشكل التالي:

القوة الغازية	الأمة المغزوة
١- شعبة غزو الفكر	للفكر
٢ - شعبة غزو الفكر	للسلوك
٣- شعبة غزو السلوك العملي	للفكر
٤- شعبة غزو السلوك العملي	للسلوك

هذه شعب أربع رئيسية، ويتفرع عنها سبل فرعية كثيرة، ولها وسائل متنوعة كثيرة لا تكاد تحصر"[٢٨]

كما وضح الميداني شرح مفصل لعمل كل فرقة من الفرق السابقة وفنَّد الأهداف بدقة ووضحها ومثّل عليها بمثال ليتضح دور كل شعبة، ومن ذلك قوله:

" فيما يلي شرح هذه الشعب الأربع:

الأولى: شعبة غزو الفكر للفكر:

١- تزيين الأفكار التي يراد الغزو بها، والإقناع بأنها صحيحة ونافعة لاعتقادها واتخاذها

---

[٢٨] عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، مرجع سابق، ص٤١.

مبادئ للحياة ومناهجها.

٢- تشويه وتقبيح الأفكار التي يراد حربُها، ونسخُها من أذهان وقلوب الأمة المغزوة، ويراد تغيير آثارها في السلوك، وكلٌّ من التزيين والتقبيح يعتمد على زخرف القول، وأنواع التضليلات الفكرية، والمغالطات والجدليات الباطلة.

ومن أمثلة ذلك: تزيين فكرة النظام الرأسمالي الغربي، أو النظام الشيوعي، وتشويه وتقبيح نظام الإسلام الاقتصادي.

الثانية: شعبة غزو الفكر للسلوك:

ويكون فيها أمران:

١- تزيين السلوك الذي يراد تحويل الأمة المغزوّة إليه عن طريق الفكر، والإقناع بأنه هو السلوك الأفضل والأحسن لحياة الإنسان.

٢- تقبيح السلوك الذي يراد تحويل الأمة المغزوة عنه، عن طريق الفكر والإقناع بأنه سلوك لا يلائم مصلحة الناس، ولا يلائم ما ينفعهم، ولا يحقق لهم سعادتهم.

وكلٌّ من التزيين والتقبيح يعتمد على زخرف القول وأنواع التضليلات الفكرية والمغالطات والجدليات الباطلة.

ومن أمثلة ذلك: تزيين فكرة الاختلاط المطلق بين الذكور والإناث. وتقبيح واقع المجتمع الإسلامي الملتزم بتعاليم الإسلام، والبعيد عن مفاسد الاختلاط.

الثالثة: شعبة غزو السلوك العملي للفكر:

ويكون الغزو فيها بأمرين:

١- بعرض أنماط السلوك النفسي أو العملي الجسدي، المعبّرة عن مفاهيم الغزاة وعقائدهم ومبادئهم بصورة مزينة محببة مغرية للتأثير غير المباشر على أفكار الأمة المغزوّة وإقناعها بصحة مفاهيم الغزاة وعقائدهم ومبادئهم.

كعرض أنماط سفور المرأة وعريها بطرق شائقة جذابة، ترغب في فكر سفور المرأة وعريها.

٢- بعرض أنماط السلوك النفسي أو العملي الجسدي المعبّرة عن مفاهيم الأمة المغزوة وعقائدها ومبادئها. وتُعرض هذه الأنماط بصورة مشوهة منفرة، للتأثير غير المباشر على أفكار الأمة المغزوة، وإقناعها بالتخلي عن مفاهيمها وعقائدها ومبادئها التي تؤمن بها.

كتشويه مظاهر حجاب المرأة المسلمة، بممارسات عملية مشوهة، مدفوعة أو مندسة للتنفير من فكرة حجاب المرأة الإسلامي والحكم الشرعي الآمر به.

الرابعة: شعبة غزو السلوك العملي للسلوك:

ويكون الغزو فيها بالاستدراج التطبيقي لأنماط السلوك النفسي والعملي الجسدي، الملائمة للأفكار والمفاهيم والعقائد والمبادئ التي يراد الغزو بها، والتي هي مظاهر لها ومعبرات عنا، بغية تحويل الأمة الإسلامية عن أنماط سلوكها القديم الملائم لمفاهيمها وعقائدها ومبادئها.

ومن أمثلة ذلك إقامة الاقتصاد عملياً في البلاد الإسلامية على النظام الربوي، وافتتاح دور الفسق والفجور باسم الفن، أو بأسماء أخرى.

وبعد اعتياد السلوك الجديد المصحوب بما يرضي المطامع، أو الأهواء والشهوات والغرائز يسهل جداً على الغزاة أن يزينوا للمستجيبين لهذا السلوك الفكرة التي يريدون غزوه بها، ويسهل عليهم إقناعهم بصحتها، كما يسهل عليهم إقناعهم بعدم صحة أفكارهم ومفاهيمهم وعقائدهم ومبادئهم القديمة، ذات المظاهر السلوكية المخالفة لما اعتادوه في سلوكهم الجديد.

يضاف إلى ذلك، أن الإنسان يحاول دائماً أن يجد الأفكار والمفاهيم والمبادئ التي تؤيّد وتبرّر أنماط سلوكه التي تأصّلت عليها عادته، واستحلتها أهواؤه وشهواته وغرائزه ومطامعه، مهما كانت فاسدة وضارة ومخالفة لقيم الحق والخير والجمال والفضيلة الخلقية، ويحاول ما استطاع أن لا يكون متناقضاً مع نفسه، بين مفاهيمه وسلوكه، وأن لا يكون مزدوج الشخصية يعاني من صراع داخلي، كما سبقت الإشارة إليه في مقدمة هذا البحث، ومع الاستدراج التطبيقي لأنماط السلوك الغازي يكون الاستدراج التزييني للتخلي عن أنماط السلوك النفسي العملي الجسدي، الملائمة للمفاهيم والعقائد والمبادئ التي يراد مكافحتها وتحويل الأمة المغزوة عنها، ومتى تخلّى الإنسان عن السلوك المعبر عن مفاهيمه وعقائده ومبادئه، وطال عليه الأمد، ضمرت في عمقه مفاهيمه القديمة وعقائده ومبادئه، ثم تستمر في الضمور حتى تضمحل وتتلاشى، وعندئذ تحل محلها المفاهيم والعقائد والمبادئ الملائمة لأنماط سلوكه الجديد، الذي غدا هو المسيطر على ممارساته وأعماله وعاداته. وفي هذه الحالة يسهل على الغزاة الإقناع بالتخلي عنها كلياً " [٢٩]

مما سبق يتضح أن الميداني قام بدراسة تحليلية مستمدة من الوقائع والأحداث التاريخية التي مرت على المسلمين، لذا رأى الميداني من الضرورة بمكان تحذير المسلمين من مخططات أعدائهم وتوجيه أبناء المسلمين للعناية بدينهم وتراثهم وحضارتهم وعدم التأثر بزيف الفكر الغربي المنحرف الذي يعمل على هدم دين الإسلام وتمزيق جماعة المسلمين، كما وضع في آخر كتابه خطوات العود الحميد.

نتائج البحث

١- أن عبد الرحمن حبنكه الميداني فيلسوف مسلم ومفكر مبدع متأمل استقى معارفه من المنهج القويم، واشتغل بالتأصيل والتوجيه الإسلامي للعديد من العلوم التربوية والنفسية الحديثة.

٢- أن دراسة الشريعة الإسلامية والاشتغال بالقران الكريم والسنة النبوية وعلومهما يمكن الباحث من التأصيل والتنظير والتبحر في العلوم، وتوجيه ما حاد منها عن المنهج القويم إلى طريق الحق وجادة الصواب، فدراسة الميداني لعلوم الشريعة في أول أمره مكنه من التأليف والتنظير والتوجيه الإسلامي للعلوم بجودة وإتقان.

٣- توضيح الميداني لحدود طاقات الإنسان ومدركاته، وبيان أن القوة الإدراكية في الإنسان من الحواس والعقل والخيال محدودة لا تستطيع أن تكتشف أكثر مما تملك.

٤- ذكر الميداني لأوصاف الإنسان في القران والتدليل لكل منها بدليل قاطع وبيان ساطع.

٥- ضرورة التفريق بين أنواع السلوك الأخلاقي وغيره من السلوكيات الأخرى والصفات المستقرة في طبيعة شخصية الإنسان.

---

[٢٩] عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، مرجع سابق، ص٤١-٤٤ .

٦- أن هناك أصول كبرى وكليات عامة ترجع إليها مفردات الأخلاق، فيمكن ردها إلى تسعة أصول كما ذكرها الميداني.

٧- تعددت وسائل اكتساب الأخلاق في المنهج التربوي المستنبط من نهج الإسلام وسيرة سيد الأنام.

٨- أن الأسس الإيمانية والأسس الأخلاقية ذات أصول نفسية واحدة، وذلك لأن السلوك الأخلاقي النابع من المنابع الأساسية للخلق النفسي موصول هو والإيمان وظواهره وآثاره في السلوك ببواعث نفسية واحدة.

٩- أوجز الميداني قواعد السلوك الكبرى فيما يتعلق بعلاقة المسلم بربه أو بنفسه أو بالناس من حوله في ثلاث قواعد مستنبطة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث جمع فيها المنهج الخلقي العام والشامل لجوانب العلاقة.

١٠- أن وظيفة العقل الذي يدرك به الإنسان المعارف ويفهم به الحقائق: التفكر في الأدلة الموصلة إلى الحقائق التي تكشف له طريقي الخير والشر في الحياة الدنيا والحياة الآخرة فالإنسان العاقل مسؤولٌ عن عقل النفس عن الانزلاق وراء أهوائها وشهواتها.

١١- أن أعداء الإسلام يحرصون على تآزر الفكر مع السلوك وذلك لأنهم يؤمنون إيماناً جازماً أن تغيير العقائد والمبادئ والمفاهيم ينتج عنه تغيير في السلوك لكي يلائم المبادئ الجديدة التي أرادها المحتل، وتغيير السلوك بالممارسة العملية سينتج عنه تغيير في العقائد والمبادئ بعد فترة من الزمن.

الخاتمة

استقى الميداني معارفه من منهج القران الكريم والسنة النبوية، فقد تخصص أولاً في علم الشريعة وتخرج من الأزهر الشريف، وبعد أن أسس بنيانه على أسس قويمة وقواعد راسخة تخصص في علم التربية وعلم النفس فأبدع فيه أيما إبداع، وكشف عن كثير من زيوف الحضارة الغربية الوافدة.

ولقد تميَّز نتاجُه العلميُّ بالغَزارة والعُمق والشُّمول لعددٍ من العلوم، مع حرصه على التأصيل من أجل إقامة العلوم على أساس التصور الإسلامي، وعلى أساس مبادئ الإسلام وحقائق الشريعة الإسلامية، كما اهتم أيضاً بالتوجيه الإسلامي لتقويم ما استجد من علوم ومعارف وتأسيسها على أساس الوحيين.

ولقد كان يجمع في كتاباته ومؤلفاته بين القديم والحديث، وبين التخصُّص الشرعيِّ الدقيق والعلوم الدنيويَّة العصريَّة، منسجمة مع روح العصر متناسبة مع ما يُطرح من أفكار وأحداث مستجدة في الزمن الحاضر.

فلقد قدم الميداني للمكتبة الإسلامية عدد كثير من المؤلفات وترك لنا موروثه العلمي الذي لازال الناس ينتفعون به، كما أن كتبه تدرس في بعض الجامعات والمعاهد ومن خلالها تدور بعض مواضيع رسائل الماجستير والدكتوراه في الكليات والجامعات، وهذا دليل على غزارة علمه وعمق فكره وتعدد معارفه غفر الله له ورحمه وتغمده بواسع رحمته.

فهرس المراجع:

أ. المصادر والمراجع:

١- القرآن الكريم

٢- عبدالرحمن حبنكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، ط٢، دمشق، دار القلم، ١٣٩٩هـ.

٣- عبد الرحمن حبنكة الميداني، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة -صياغة للمنطق وأصول البحث متمشية مع الفكر الإسلامي-، ط٤، دمشق، دار القلم، ١٤١٤هـ.

٤- عبدالرحمن حبنكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، ط٢، دمشق، دار القلم، ١٣٩٩هـ.

٥- عبد الرحمن حبنكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، ط٧، دمشق، دار القلم، ١٤١٤هـ.

٦- عبد الرحمن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، المجلد الأول، ط٧، دمشق، دار القلم، ١٤٢٩هـ.

٧- عبد الرحمن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها، المجلد الثاني، ط٧، دمشق، دار القلم، ١٤٢٩هـ.

٨- عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥ه.

٩- محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد، الرياض، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م.

ب. المراجع الإكترونية:

١٠- موقع ملتقى النخبة الإسلامي: www.nokhbah.net

١١- موقع رابطة العلماء السوريين: www.islamsyria.com